كيف نعود الطفل الثقة بنفسه

يشيد العالم أجمع بتربية الطفل في بلاد الانكليز، ويعدها أحسن مثال صالح لاعداد نشء قادر على القيام بكل ما يسند إليه من مهام الأمور غير هياب ولا وجل، وما هذا إلا لان أساس التربية هناك ترمي في غرضها إلى تربية الطفل تربية استقلالية محضة مما كان سببا لأن ترى الشاب الانكليزي يخرج إلى الحياة معتمدا على نفسه متناضلا مكافحا مستعدا لمنازلة الحياة ومصارعتها وهو على يقين من أنه سيغلبها ويقهرها وتكون له مركبا ذلولا وطريقا سهلا معبدا يحطم فيها كل ما يعترضه من عقبات بعزم لا يلين وقوة لا تستكين

فترى الشاب الانكليزي في نفسه قويا ناهضا لا يعتمد الا على نفسه ومجهوده يضرب في أطراف المستعمرات الانكليزية الواسعة ضرب النحلة العاملة الطيارة في واسع الحدائق والرياض تجني رحيقا حلوا وشهدا شافيا أينما حلت وكيفما استقرت على أبهى زهرة من زهراته . فتراه يستعمر بلاد الزنوج وأواسط أفريقيا، يذلل بنفسه كل صعب غير آبه بما يلاقيه من آلام . ينزل في مثل هذه البلاد فلا يرى قصورا شاهقة كالتي تربى فيها ولا نوادي آهلة يتسامر فيها ولا مغنى حافلا يبهج النفس ويسر القلب ولا مروجا خضراء أو حدائق غناء يستنشق أريج نسيمها ومع هذا كله فلا يمل ولا يسأم

ينزل في مثل هذه البلاد فسرعان ما نرى له من الأعمال النافعة ما يشعر به الناس في قليل من الزمن، فتارة يضرب في شواطئها النور الكهربائي، ويسير ليلها نهارا أو يجري فيها المياه فيحيي موات أرضها ويجعل منها جنات تؤتي أحسن الثمرات وتنبت من كل زوج بهيج . أو ينشيء المدارس أو يقيم الشركات العظيمة والمعامل النافعة وبالجملة فان البلاد تحس بوجوده تقدما نحو المدنية والعمران

وإني اليوم أبعث بصيحتي هذه الى الآباء اولا فهو اليد الأولى التي يتلقى عنها الابناء دروس التربية والتهذيب ثم المدرس ثانيا لانه اليد الأخرى التي تعمل على كمال تربيته وتثقيفه فالأب والمدرس هما اليدان العاملتان اللتان يجب أن تتعاونا معا على تربية الطفل وتهذيبه.

إن اردتم أن تربوا أبناءكم تربية استقلالية فاعمدوا الى تعويد الطفل الثقة بنفسه والاعتماد على شخصه في كل عمل يقوم به وذلك باشعاركم إياه عدم اهتمامكم به حتى يتعود الاستغناء عن مساعدة غيره . خذ طفلك معك واتركه حرا يتجول كيف شاء يقطف الأزهار

ويمسك الأشجار بنفسه ويفتح الجداول بيده أتركه يأكل بنفسه ويشرب بنفسه ويغسل يده ويلبس جلبابه ويربط حذاءه ويمد فراشه لنفسه وليس عليك الا إرشاده إلى أخطاء كثيرة من الأعمال ما يلائم سنه واتركه يقوم به وحده مع ملاحظتك إياه فان أخطأ أرشدته وإن أصاب شجعته وتدرج معه فى ذلك كما كبر حتى إذا بلغ سن الرجال كان متعودا العمل فيدخل معترك الحياة غير غريب عنها

وإياك والمبالغة فى المحافظة عليه والعناية به عناية تعدم بها شخصيته ووجوده فانك إن بالغت فى هذا كان طفلك هو ذلك الشخص الذى يخرج للحياة جبانا رعديدا

فاذا رأى نفسه يوما ما بعد ان كان محوطا بالوقاية قد خلى بينه وبين أقل خطر يلم به كان أسوأ الناس حالا وكان هو الشخص الذى يحاك من حوله فلا يعرف طريقا للخلاص غير أن يقف مكتوف اليدين ليس له من حيلة غير النحيب والبكاء وطلب النجدة كما هو الحال فى أبناء الأغنياء المترفين والموسرين منا

ولهذا فلن أن تجد شجاعا من أبناء المترفين وإنما هم فى الغالب من أبناء الفلاحين الفقراء الذين عركهم الدهر وربتهم الأيام وعلمتهم التجارب، ولهذا ذكر ابن خلدون أن من أسباب سقوط الأمم تركها الخشونة والتقشف ودخولها فى الترف والنعيم واعتيادها على غيرها، وذكر أن السبب الذى جعل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر هو أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى والى البلد والحاكم الذى يسوسهم والحامية التى توات حراستهم واستناموا الى الاسوار التى تحوطهم فهم آمنون مطمئنون قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الأجيال

والبدو لتفردهم عن المجتمع وبعدهم عن الحامية وانتباذهم الأسوار والأبواب فأمنون بالمدافعة عن أنفسهم وقد صار فيهم البأس خلقا والشجاعة سجية

لهذا يجب أن تكون عنايتنا بالطفل عناية معتدلة متزنة بمعنى أننا لا نمنحه عنايتنا إلا عند الضرورة وخشية الضرر عليه فاذا كان الطفل يلاقى صعوبة بسيطة فلنقترب عنه سمعا ليتعود التغلب على الصعاب وتذليل ما يعترضه من عقبات فبذلك يخرج الشاب إلى الحياة رجلا كاملا يسير موفقا

حسن النجار احمد

المدرس بلوس